

على اعلان موقف غير مرض لاسرائيل بأنه «بمثابة التلويح براهية حمراء لثور هائج». ففي عام انتخابات كهذا، سوف يكون المرشحون، وقادة الحزبين، الجمهوري والديمقراطي، حذرين في المجازفة بفرصهم الانتخابية بانتقاد اسرائيل. وعليه، «فان هناك فرصة ضئيلة لرؤية ادارة غير مؤيدة لاسرائيل بسبب مساهمتها في جدول أعمال ريغان الاستراتيجي» (انترناشيونال هيرالد تريبيون، ١٩٨٨/١/١٨).

بطل الحل وبطل الأزمة

ان النجم الابرز في سماء الاحداث هو م.ت.ف. وهذا النجم اصبح عاملاً دفع واشنطن الى ان تدرس احتمالات وإمكانات الاعلان عن اتصالات قائمة معه، خصوصاً وان المتحدثة الرسمية باسم وزارة الخارجية الاميركية، فيليس اوكلي، كانت ألحت الى ذلك خلال الانقفاضة، عندما قالت ان الحكومة الاميركية «على اتصال مع الطرفين»، أي الفلسطيني والاسرائيلي، من دون ان توضح المزيد. وهكذا ظهرت المنظمة على أنها قطب التحرك في هذه المرحلة، وربما استطاعت ان تكون «بطل الحل». وليس من قبيل الصدفة ان تؤكد مصادر دبلوماسية اميركية مطلعة ان الخارجية الاميركية مستمرة في اتصالاتها مع الطرفين - في أحيان كثيرة بشكل مباشر مع م.ت.ف. - وذلك لجس النبض حول مسألة أساسية محددة، ألا وهي «حكومة المنفى» (التضامن، لندن، ١٦ - ١٩٨٨/١/٢٢). أما اسرائيل، فانها لم تعد بعيدة من هذه الاجواء، بعد ما ألح شمعون بيرس، الى انتخابات نيابية مبكرة، على الرغم من انه يعرف تماماً صعوبة تنفيذ ذلك، ويوعي تعقيدات السياسة الداخلية التي جعلته يراوح مكانه، ويبقى، عن جدارة، «بطل الأزمة». أما الولايات المتحدة، فانها تتصرف مثل أي دولة عظمى تسعى الى ان تكون موجودة في مكان الحدث؛ ومكان الحدث، في الشهور القليلة المقبلة، هو المجتمع الاسرائيلي، حيث بدأت تظهر «حمام» داخل كتل الليكود، وفي مخيمات الضفة والقطاع.

حلول فقد «قيمتها الاستهلاكية»، والتعليقات التي تدعو الى دعم اسرائيل، وبأقلام معلقين بنوا شهرتهم على التشدد، كافية لاعطاء صورة عما هو الحد الأدنى للادارة الحالية، في نظرتها الى امكانات «حل» للاحداث الجارية في الارض المحتلة. فقد ظلت افتتاحيات صحيفتي «نيويورك تايمز» و«واشنطن بوست» على عاداتها في الكف عن توجيه أي نقد جدي الى الحكومة الاسرائيلية؛ واكتفت تلك الافتتاحيات، في المقابل، بأشارات خجولة، مشفوعة بآيات التمني بحدوث بعض التغيير في الأساليب القمعية الاسرائيلية، ولكن مع الاصرار المسبق على تجاهل الأسباب الحقيقية لتلك الاحداث (على سبيل المثال، انظر نيويورك تايمز، ٩ - ١٩٨٨/١/١٠، وواشنطن بوست، ١٩٨٨/١/١٨).

وحتى ضمن هذا الشق من «اللعبة» لم تنس تلك الاقلام ادانة «المطرفين» الفلسطينيين، من جهة، واستخدام تعبير «الاحباط»، للايحاء، الى من يهمله الأمر، بأن واشنطن غير قادرة عن لعب دور بناء في عملية السلام، من جهة أخرى. هكذا «فان الاحباط الذي تشعر به الولايات المتحدة لعدم تغير العناصر الجوهرية التي جعلت المساعي المبذولة لدفع عملية السلام، أمراً عسيراً عبر السنوات الماضية». فهذه السنة «هي سنة انتخابات في الولايات المتحدة واسرائيل. ومعنى ذلك ان أي جهد دبلوماسي لن يدوم طويلاً. كما ان الاحداث الحالية في الارض المحتلة وما نجم عنها من مأس، قد زادت المسارة بين الطرفين [الفلسطيني والاسرائيلي] وجعلت أمر العثور على حل وسط أكثر صعوبة، اضافة الى ان المحادثات السرية بين الاردن واسرائيل فشلت، وان حكومة ريغان لا تحرك ساكناً... في ما يتعلق بأي مبادرة للسلام، على الرغم من اعرابها، بين الحسين والأخر، عن قلقها وانزعاجها...» (نيويورك تايمز، ١٩٨٨/١/٢٢).

وبالفعل، فقد توجهت الانظار الى المعادلة الانتخابية في الولايات المتحدة، والى «صوت» اليهود الاميركيين فيها. ولذلك، لم يكن من المبالغة في شيء ان يوصف اقدام احد المرشحين، ذات يوم،